13 me Annee No. 649

Lundi—10—12—1945

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

يدل الاشتراك عن سنة
ـــ صـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ محرم سنة ١٣٦٠ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفلســـفة مأمونة

للأستاذ عباس محمود العقاد

« أتمن الله على الخطر ؟ ... إن الفلسفة خطر على أصحابها وخطر على عقول العامة ، لأنها ما زالت منذ كانت تثير الظنون وتعرض المشتغلين بها للقيل والقال ... »

قرأت هـذا فى كتاب غفل من الإمضاء ، فكان فى ذلك بعض الدليل على أن اتهام الفلسفة بالخطر فى زماننا هذا هو الخطر الذى يستتر منه الناس .

وأبادر فأقول لصاحب الخطاب ومن على رأيه إن الكتب الفلسفية التى أشرت إليها فى مقالى السابق بالرسالة ليست من الكتب التى يختلف فيها قولان ، لأنها تتناول المباحث التى يتفق على دراستها رجال الدين ورجال العلم ولا يتحرج من قراءتها أصحاب رأى من الآراء .

ونحن مع هذا فى زمان غير الزمان الذى كان يخشى فيه على الفلاسفة والمتفلسفين .

وبودى أن أقول بعد هذا وذاك إن الفلسفة مظلومة فى تلك الأزمنة التى كانت تتخذ فيها ذريعة للتنكيل بمن أصابهم التنكيل من جرائها أو من جراء الانتساب إليها ..

فقد ظلموها والله حين أصابوا باسمها من أصابوه ، فإنما كانوا يحسدون الفيلسوف على مكانة مرعية أو ينقمون لعلة ظاهرة أو خفية ، فيظلمونه ويظلمون الفلسفة معه ، ويجهل الأمر من يجهله فيقول إن هؤلاء الظالمين منصفون لأنهم عاقبوا من يستحق العقاب ولم يأخذوه بغير جريرة ولم يختلقوا عليه الذنوب !

ولو كانت الفلسفة هى العلة الصادقة لأصابت النكبات كل فيلسوف يبحث فيما وراء الطبيعة ويتصدى للكلام فى أصل الوجود أو أصول الموجودات .

ولكنهم لم ينكبوا من الفلاسفة فى الواقع إلا من كان ذا منزلة محسودة ومقام ملحوظ ، وإلا من دخل معهم فى مشكلات السياسة ومطامع الرئاسة ، أو كانت لهم عنده ترة يتمحلون الأسباب لمجازاته عليها ، فيرجعون بها إلى هذه الفلسفة المسكينة ، وهى غنية بالعلل والأسباب !

وإلا فما بالهم لم ينكبوا الكندى والفارابى ونكبوا ابن سينا الوزير وابن رشد قاضى القضاة ؟

فالكندى كان رجلا ميسور الحال موفور المال ولكنه اعتزل الناس ولم يشترك معهم فى مطامع الرئاسة فتركوه يتفلسف كما يشاء ، وكان قصارى ما أصابه من ألسنتهم أنهم تندروا ببخله وزيفوا الاحاديث عن عشقه وغرامه ، وسلم له رأسه إلا مما سرى إليه — فيما قيل — من وجع فى الركبة قد استعصى على العلاج

والفارابي نظر إلى محيط السموات وأعرض عن الأرض ومن عليها وقال في رياضته الهندسية ورياضته النفسية :

وما نحن إلا خطوط وقعـ ـن على نقطة وقع مستوفز
محيط السموات أولى بنا فقيم التزاحم في المركز !

فقالوا له : دونك وما تشتهي من محيط السموات ، ودعنا وما نتزاحم عليه من هذه المراكز والنقاط !

أما ابن سينا فقد زج بنفسه بين المتنازعين من الأمراء والرؤساء فزجوه في السجن وألجأوه إلى النفي وضيقوا عليه المسالك وعلموه طلب السلامة في زوايا الإهمال .

قال تلميذه ومريده أبو عبيد الجوزجاني « ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها . ثم اتفق تشويش العسكر عليه وإشفاقهم منه على أنفسهم ، فكبسوا داره وأخذوه إلى الحبس وأغاروا على أسبابه وأخذوا ما كان يملكه وسألوا الأمير قتله فامتنع منه ، وعدل إلى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعد ... » إلى أن عاد .

فالعلة في الأرض لا في السماء .

والمصيبة من « الطبيعة » لا ممـا وراء الطبيعة .

وآفة الرجل أنه أراد أن يكبح السلاح بالحكمة ، ولو استطيع ذلك لاستطاعه أرسطو في سياسة الأسكندر . . وهيهات .

ثم مات الرجل في داره حينما زالت عنه رهبة السلطان ولم يمت في الحبس كما وهم بعضهم في قول بعض حاسديه :

رأيت ابن سينا يعادي الرجا ل وبالحبس مات أخس الممات
فلم يشف ما ناله بالشفا ولم ينج من موته بالنجاة

وإنما كان « الحبس » في اصطلاحهم بديلا من داء « الإمساك » في اصطلاح هذا الزمان !

وقد صدق هـذا الحاسد الشامت حين رد البلية كلها إلى معاداة الرجال لا إلى معاداة الله أو معاداة رسل الله .

وابن رشد جمع على نفسه بين حسد الوجاهة والنباهة وبين سخط الفقهاء ونكاية ذوي السلطان .

شرح كتاب الحيوان لأرسطو وهذبه وقال فيه عند ذكره الزرافة « رأيتها عند ملك البربر » ... وكان إذا حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلوم يخاطب المنصور بأن يقول : تسمع يا أخي ! ولا يخاطبه بألقاب الملوك والخلفاء .

فجزاه « ملك البربر » دقة بدقة ونكاية بنكاية ، ورآه يستكثر عليه أن ينسب إلى العرب أو يسمى بخليفة المسلمين فقال له : بل أنت الدخيل على أمة العرب وملة الإسلام فيما صح لدينا من الأنساب التي لا تقبل الكلام !

وهكذا أصبحنا « خالصين » ! ...

وأصبح « محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد » يستتر وراء هذه الأسماء سلسلة من أسماء بني إسرائيل ، ونفوه إلى محلتهم في جوار قرطبة لأنه دسيسة على المسلمين من سلالة اليهود الذين يفتنون أتباع محمد بفلسفة اليونان !

ولولا تلك المقابلة في الإساءة والانتقام لجاز أن يلصق هذا الظن بالرجل وإن لم يقم عليه دليل أو قام الدليل على نقيضه ، لأن أعدى أعدائه الشامتين به في نكبته قد نفى هذه الدسيسة عن نسبه وشهد لجده بالتقوى والصلاح حيث قال :

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لمـا علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء ما هكذا كان فيه جدك !

ومَن قائل هـذه الشهادة في جده ؟ هو الحاج أبو الحسين بن جبير الذي جمل من أهاجي ابن رشد أغنية رتلها ويعيد ترتيلها على اختلاف القوافي والأوزان . فقال في تلك الأهاجي الكثيرة !

الآن قد أيقن ابن رشد أن تواليفه توالف

وقال :

كأن ابن رشد في مدى غيه قد وضع الدين بأوضاعه

وقال يحرض على قتله :

وقد كان للسيف اشتياق اليهمُ ولكن مقام الخزي للنفس أقتل

ولو رجعنا إلى سر هـذه البلية كلها لوجدنا أن « علا في الزمان جدك » هي تفسير هذه الأبيات أو تفسير تلك النكبات ، وإن الزرافة التي عند «ملك البربر» هي التي أدخلت نسب الرجل في سلالة بني إسرائيل .

فالخطر يا صاحبي على الفلاسفة من الدنيا لا من الدين ، ومن الخاصة الحاسدين لا من العامة الغافلين